خطر الجهل والكهانة

الجهل أكبر عدو للعبد، وصدق من قال: "يفعل الجاهل بنفسه ما لا يفعل العدو بعدوه".

فالعبد عندما يكون جاهلا بأمور دينه ودنياه لا يمكن أن يتصرف تصرفا صحيحا، ولا يمكن كذلك أن يعرف مواطن الخلل والزلل، فالجهل داء خطير ومرض عضال، إذا أصاب العبد كان صاحبه على خطر عظيم، وعلى شفير هاوية، وإن لم يتدارك نفسه وينور عقله بالعلم النافع كان صاحبه في عداد الهلكى والموتى.

والجاهل قد يكون يقرأ ويكتب ويفهم الخطاب وخريج جامعة، وربما يحسن اللغات الأجنبية، لكنه جاهل، تصرفاته وتحركاته وطريقة كلامه طريقة إنسان جاهل؛ الجهل يطمس القلب ويعمي البصيرة، ويكون الجاهل للشيطان غرضًا، فيوجه إليه سهام الشبهات وسموم الشهوات، فيرديه قتيل الهوى أسير الشهوة، فإذا وصل إلى تلك الغاية اتخذه الشيطان جنديا ينشر به الفساد في الأرض، ويصد به الناس عن الحق، وبهذا يصير

من حزب الشيطان ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

عباد الله من مظاهر الجهل التي عمت في حاضرنا هجر القرآن والسنة، تجد عموم الناس هاجرين القرآن والسنة، لا قراءة ولا تدبر ولا تأمل في صفحات المصحف، ولا تطبيق لأحكامه، بل أصبح القرآن زينة معلقة في الجدران والسيارات مع أن القرآن الكريم كان سر نجاح وفوز الأولين من الصحابة والتابعين والرجال المخلصين والفاتحين، وسيبقى هو سر نجاح المؤمنين على مر الدهور والسنين إذا تمسكوا به.

ومن مظاهر الجهل تضييع المسؤوليات، ترى العبد الآن يتقلد المسؤوليات العظام ثم تراه بعد ذلك قد ضيعها وضيع معها حقوق الناس، وتراه إنسانا عاديا غير خائف ولا وجل، وكأنه قد قدم خدمات جليلة لمجتمعه، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من عبد يسترعيه الله رعيه ثم يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة). متفق عليه.

ومن مظاهر الجهل انقلاب الموازين والمقاييس عند الناس، صار الكذاب هو الصادق، والصادق هو الكذاب، والأمين هو الخائن،

والخائن هو المؤتمن، والعابد الورع التقي هو المغفل الذي لا يعرف شيئا ولا يعرف مصالحه، والعبد المضيع للحقوق والواجبات والمتجاوز لحدود الله والمنتهك لحرمات الله هو الحاذق والشاطر وهو الرجل الشهم.

ومن مظاهر الجهل التنافس الشديد على زخارف الدنيا، حتى افتتن الناس وأصبح تفكيرهم هو الدنيا: ماذا يلبسون؟ وماذا يأكلون؟ وما نوع السيارة التي سيقتنيها؟ وكيف يصل إلى أعلى المناصب؟ وغيرها من متع الدنيا، ولم يسألوا أنفسهم يوما: كيف الإقبال على الله؟ وما هو الزاد الذي سنرحل به؟ وماذا قدمنا لآخرتنا؟

ومن مظاهر الجهل تضييع الساعات والأيام فيما لا فائدة فيه، الزمن يتسارع والأوقات تمر والعبد في غفلة، ومن مظاهر الجهل انهيار الأخلاق الفاضلة بين الناس، وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا.

الجهل يطمس القلب ويعمي البصيرة، الجاهل موازينه مقلوبة، ومقاييسه غير منطقية، تقوده لكل شر.

ومن صور الجهالات: ترويج الكتب الضالة، والنشرات الفاسدة التي يختلقها أصحاب الأهواء، وذوو المقاصد الذميمة، لكي يضلوا الناس، ويفسدوا عليهم دينهم، والجاهل تجده يقدس الأفكار الضالة من حيث لا يعلم ويقع في دعايات أعداء الملة والدين.

الأمة إذا جهلت أمر دينها فسدت عباداتها، وساءت اعتقاداتها، وأصبحت عباداتها صورًا وأشكالًا لا روح فيها ولا حياة، حتى الصلاة التي هي عماد الدين أصبحت مجرد حركات وهيئات لا تصدر عن علتها الصحيحة، ولا تثمر عن ثمرتها المرجوة، وحتى عقيدة التوحيد التي هي أصل الإيمان، وأساس دعوة القرآن، فسدت فسادًا عظيما.

إن حياتنا اليومية تعج بصور من الجهالات والمخالفات التي ربما ظن كثير من الناس أنها عين الصواب والسداد، فثمة مرموق له بضع سنين لا يغتسل من الجنابة، ومثقف لا زال يعتقد شفاءه وصلاحه عند ساحر خبيث، وخريج جامعة لا يحسن قراءة القرآن، وطبقة كبيرة من الناس، يقرأون في مواقع التواصل كل كلمة ومحادثة ويتابعون كل تافه وتافهة ولا زالوا جهلة بأمور الوضوء والصلاة.

يا مسلمون: إن الجهل ظلمة وحيرة واضطراب، يودي بالإنسان إلى درك الخيبة والشقاء والدمار! عجيبٌ ما يصنعه بعض الآباء من صرف نبوغ الأبناء إلى نواقض العقول وصوارفها عن العلو والنضج والنماء!

لماذا نقوم على أبنائنا بالطعام والشراب واللهو واللعب، ونقصر في هدايتهم بأنوار الشريعة؟

إن العجب لا ينقضي من فئام سمنوا أبناءهم، وروّحوا أجسادهم فلهت ولعبت! لكنهم جهال خرقاء بأمور دينهم، فلا بأس بهم من عضلات مفتولة، ويا ويحهم من عقول مرذولة مطروحة! يتقاعس كثيرون عن اللقاء بالعلماء وسؤالهم أو الاتصال بهم، ويرضون أن تؤدي العبادة بأي طريقة المهم أن تنقضي العبادة وتستريح النفس.

إن بعضَ الناسِ ممن ضعف قدرُ الدين في قلوبِهم، يسوّغ لنفسه تركَ السؤالِ عما يحتاجُه من مسائلِ العلم والدينِ، بحجةِ أن الدينَ يسرٌ، أو بأن اللهَ قد قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾.

أو غير ذلك من الشبهاتِ الباردةِ والأوهامِ الفاسدةِ، التي تدلُّ على ضعف الإيمان وخِفَّةِ قدرِ الدين في القلب.

ومن صورِ قلةِ العلمِ وظهورِ الجهلِ، إعراضَ كثيرٍ من الناسِ عن تعلمِ ما يجب عليهم تعلُّمه من أحكامِ الدين التي يحتاجونها في عباداتِهم أو معاملاتِهم أو غيرِ ذلك من شؤونِ حياتهم، فكثيرٌ من المسلمين يعيشُ حياتَه ويزاولُ نشاطَه وأعمالَه دونَ مراجعةٍ لكتابِ اللهِ أو سنةِ رسولِه -صلى الله عليه وسلم-، ليعلم حكمَ اللهِ فيما يأتي ويذرُ، فكثيرٌ من الناسِ يقدِم على فعلِ ما يشكُّ في تحريمِه أو صحتِه أو حكمِه، دون بحثٍ ولا سؤالٍ عن حكمِ اللهِ تعالى في ذلك، فيقعُ في آثامٍ عديدةٍ وأزماتٍ كثيرةٍ.

**** ****

الخطبة الثانية:

إن السحر عالم عجيب، ظاهره فاتن خلاب، وباطنه قذر عفن، لقد عبّد الشيطان السحر والسحرة وأتباعهم للشمس والقمر، والنجوم والأوثان، بل ترقّى به الحال إلى أن تعبّدهم لنفسه الخبيثة.

لقد كان السحر ولا يزال منزلقًا لم يجن البشر من ورائه إلا ثمرات مرة، إنه صورة مشوهة، وأيد ملطخة بدماء الأبرياء، لقد سلب الفرحة من قلوب كثير من الناس، وأزال البسمة عن شفاههم، إنه تاريخ مظلم بظلام آثاره، وضلال أتباعه.

والكهان لا يغتر بصدقهم في بعض الأمور ولا بكثرة من يأتي إليهم من الجهال لما في إتيانهم من المحذور، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى عن إتيانهم وسؤالهم وتصديقهم لما في ذلك من المنكر العظيم، والخطر الجسيم، والعواقب الوخيمة، ولأنهم كذبة فجرة، والكاهن والساحر يدعيان علم الغيب وذلك كفر، ولا يتوصلان إلى مقصودهما إلا بخدمة الجن وعبادتهم من دون الله، والمصدق لهم بدعواهم على الغيب ويعتقد بذلك يكون مثلهم، وكل من تلقى هذه الأمور عمن يتعاطاها فقد برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز للمسلم أن يخضع لما يزعمونه علاجاً كنمنمتهم بالطلاسم، ونحو ذلك من الخرافات التي يعملونها، فإن هذا من الكهانة والتلبيس على الناس ومن رضي بذلك فقد ساعدهم على باطلهم وكفرهم، كما لا يجوز أيضاً لأحد من المسلمين أن يذهب إلى من يسأله من الكهان ونحوهم عمن سيتزوج ابنه

أو قريبه أو عما يكون بين الزوجين وأسرتيهما من المحبة والوفاء أو العداوة والفراق ونحو ذلك لأن هذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.